216

الأبحاث والدراسات

كينيا (*)

أ. د. السر سيد أحمد العراقي

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم (الجزء الأول) (أفريقيا)، (الطبعة الثانية) (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). ص ص ٨٧ – ١٠٢ .

الفصل الثالث

كينـــــــيا

كينيا الموقع والمساحة :

تقع هذه المنطقة بين تنزانيا ويوغنده والصومال وتمسها شمالاً اثيوبيا والسودان. وتقدر مساحة كينيا بـ ٢٢٤٫٩٦٠ ميلاً مربعا ، منها ٢١٩٫٧٣٠ يقع في القارة ، وما تبقى عبارة عن جزء من جزيرة تقع بالقرب من الساحل . وتنقسم كينيا إلى خمس مديريات هي : ممبسه وتبيدي وناكورو ونيانزا (كيسومو) ، وعاصمة كينيا هي نيروبي ، وممبسه هي الميناء ، وتقع على الساحل[1] ، ويصل عدد سكانها حوالي ٢٥ مليون نسمة تقريباً . ويعتبر المسلمون في كينيا أكثرية بالنظر إلى أن نصف عدد السكان من الوثنيين ، ونحو ١٥٪ يدينون بالمسيحية ، ومن ثم يشكل المسلمون ٣٥٪ من إجمالى عدد السكان وتنتشر المسيحية في داخل البلاد عن طريق البعثات الدينية ولاسيما الإرساليات البريطانية الكاثوليكية والفرنسية والإيطالية ، وكذلك على مذهب البروتستانت ، وفي كينيا جالية هندية كبيرة[2] . نالت كينيا استقلالها في سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، وأعلنت بها الجمهورية في السنة التالية لاستقلالها، وكانت بريطانيا قد احتلتها عقب توقيع معاهدة مع ألمانيا لاقتسام شرقي أفريقيا في سنة ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م . وقام هذا الاحتلال على أنقاض تمزيق دولة (آل بوسعيد) الإسلامية ، فأخذت ألمانيا القسم الجنوبي أو تنجانيقا (تنزانيا حالياً) ، وأخذت بريطانيا كينيا والقسم الأكبر من الصومال[3] . وتقع كينيا في الوسط الشرقي لأفريقيا . وتمر بها الدائرة الاستوائية ، وتشرف بحدودها الشرقية على المحيط الهندي ،

---

(١) عبدالرحمن زكي ، المسلمون في العالم ، القسم الثاني ، افريقيا الإسلامية ، ص٢ ، القاهرة ، ١٩٦٥ د. سيد عبدالمجيد بكر ، الأقليات المسلمة في افريقيا ، ص ٨٩.

(٢) عبدالرحمن زكي ، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، ص ٩٣: المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات في العالم، ص ١٢٦. سيد عبدالمجيد بكر ، ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) سيد عبدالمجيد بكر ، المرجع السابق ، ص ٩١.

وتبدأ أرضها بمستنقعات ساحلية تنمو بها غابات المنجروف ، يليها سهل ساحلي يمتد بطول البلاد من الشمال إلى الجنوب . ويتكون الشعب الكيني من مجموعة قبائل من أهمها قبائل البانتو والكيكويو والماساي والجالاوالكامبا ، وهناك جماعات أسيوية من العرب والهنود والباكستانيين والفرس ، ويتمركز الوجود العربي والفارسي منذ قديم الزمن على الساحل المطل على المحيط الهندي ، وخاصة في مدن ممبسه ومالندي وبيت ولامو .

والزراعة هي عصب الاقتصاد الكيني ، وتعتمد الزراعة على الأمطار والري حول الأنهار ، ويزرعون الذرة والقمح والأرز والكاسافا والموز ، بالإضافة إلى حاصلات نقدية تتمثل في القطن والبن والشاي وقصب السكر والسيسل . والرعي حرفة هامة في كينيا ، وثروتها من الأبقار والماعز والأغنام والإبل[1] .

ازدهرت الحضارة الإسلامية في ساحل شرقي إفريقيا منذ العصور الوسطى ، ودخل الإسلام الساحل الشرقي منذ وقت مبكر ، وتجمع المصادر والروايات أن ساحل شرقي أفريقيا شهد الإسلام منذ القرن الأول الهجري ، واستقر العرب في هذا الساحل ، الممتد من مقديشو شمالاً إلى سوفالا في روديسيا جنوباً منذ قرون مبكرة ، وبالطبع فإن الساحل الكيني يغطي مساحة كبيرة من هذا الساحل الطويل ، وحظي بوجود عربي إسلامي مكثف منذ زمن الخلفاء الراشدين ، حيث استقر المسلمون في منطقة بنادر وحول ممبسة ومالندي ولامو منذ ذلك الحين[2] .

لذلك حفلت البلاد بحضارة إسلامية راقية ، منذ القرون الإسلامية الأولى ، وأسهم في بنائها المسلمون من عرب وفرس وأفارقة ، وغيرهم ، منذ أن أصبح هذا

---

[1] سيد عبدالمجيد بكر ، المرجع السابق ، ص ٩١.

[2] عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا ، ج١ ، ص ٧٧:

Warner, A., Encyc. of Islam, art. Mombassa, Vol., 3 (2), p. 552, London, 1934./ Stigand, Op. Cit. 29./ Reusch, Op., p. 75 Seq.

الساحل داراً للإسلام في العصور الوسطى ، فهي لذلك حضارة عربية وحضارة إسلامية ، وليس المقصود هنا أن الذين أسهموا في بنائها هم العنصر العربي والمسلمون وحدهم ، بل جميع شعوب

الساحل التي اتخذت العربية لغة لها ، أو تلك التي عاشت في ظل الإدارة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس واللون والدين • ومن ثم اشتركت في بناء الحضارة الإسلامية التي انتظمت على طول الساحل الشرقي لأفريقيا وفي داخله من بعد ذلك، العرب والفرس والهنود والأتراك والمصريون بالإضافة إلى الأفريقيين من البانتو والجالا والصوماليين والأحباش والسواحيليين الذين هم نتاج عربي أفريقي ، بعد اختلاط العرب بالأفريقيين ، والتزاوج معهم ، خاصة مع قبائل البانتو والبوشمن وغيرها •

ويعتبر المؤرخون أن العصور الوسطى هي العصور الزاهرة في التاريخ الوطني لشرقي أفريقيا . حيث هاجرت جماعات إسلامية عربية وفارسية – أسست دولاً وحكومات إسلامية ساهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الفكر والتراث الإسلامي إلى هذا الساحل ، ومن ثم إلى الداخل ، والعرب هم العنصر الفعال في هذه الدول الإسلامية التي أسسوها على الساحل • ولعل من أبرزها دولة سليمان وسعيد التي تأسست في حوالي عام ٦٩٥م ، حول منطقة أرخبيل لامو (في كينيا) ، والتي ربما امتد نفوذها حتى جزيرة مافيا ، وتليها دولة الزيود عام ٧٤١م ، وهي دولة شيعية برزت في منطقة بنادر على الساحل الصومالي ، وجعلت من مدينة براوة حاضرة لها ، أما الأخوة السبعة الذين هاجروا من الاحساء عاصمة دولة القرامطة في الخليج العربي ، فقد أسسوا دولة قوية عام ٣٥١هـ (٩١٣م) ، وظلت مقديشو عاصمة لهم حتى ذهاب نفوذهم السياسي عام ٩٧٥م ، وامتد نفوذهم جنوباً حتى ممبسة ومالندي ولامو حيث نشروا الإسلام على المذهب السني الشافعي[1] •

---

[1] انظر للباحث الأول: أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى. مجلة كلية الآداب - جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، أم درمان، ص ٢٥ وما يليها - وانظر للباحث الأول أيضا: معالم

وبالطبع يضاف إلى هذه الدول وجهودها في نشر الثقافة الإسلامية الدور الكبير الذي قام به الشيرازيون الفرس بزعامة علي بن حسن الشيرازي الذي أسس سلطنة الزنج الإسلامية (٩٧٥هـ - ١٤٩٧م) ، وجعلوا من مدينة كلوة عاصمة السلطنة قاعدة ومركزاً كبيراً لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية في الساحل وداخله .

وظلت مدن ساحل شرقي أفريقيا التي حكمها العرب والمسلمون - ولقرون عديدة - مراكز نشاط ومدنية ، وتطورت هذه المدن العربية الإسلامية بفضل تجمع العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة ، ومدن شمال أفريقيا مثل القيروان وفاس وغيرها - وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة هذه المدن الإسلامية الزاهرة حدود الساحل أمثال : مقديشو وبراوه (في الصومال) ولامو وممبسة وبيت وشاقا (في كينيا)، وكلوه (في تنزانيا) ، وسوفالا (في روديسيا) ، بالإضافة إلى جزر زنجبار وبمبا وهافيا ، التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ، وظلت الصبغة العربية هي البارزة والمميزة في هذا الساحل خلال فترة العصور الوسطى ، فأسهم العرب في هذه البلاد بالآداب والعادات التي اتصفوا بها ، وشاعت هذه الآداب بين بقية المجتمعات التي تعيش في هذا الساحل الأفريقي وفي داخله ، ولقد بقيت تلكم الثقافة العربية ، بل ظلت تشيع وتنتشر حتى بعد ذهاب نفوذهم السياسي غداة مجيء الأوربيين للساحل في القرن التاسع عشر .

والمجتمع الإسلامي في شرقي أفريقيا ، يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة في صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، ولكنها بعد إسلامها وبسببه أخذت تنصهر جميعاً في بوتقة الحضارة الإسلامية ، واختلطت هذه الدماء والنظم والأذواق اختلاطاً خلاقاً رائعاً ساعد عليه التزاوج بين الفاتحين ، وأهل البلاد المحليين ، ومن هذا الاختلاط نشأ جيل جديد يحمل ميزات عقلية وجسمانية خاصة ، عرف في التاريخ باسم العنصر

الحضارة الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى ، مجلة دراسات افريقية ، المركز الإسلامي الأفريقي ، العدد الثاني ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٨٣.

السواحيلي (يعيش اليوم في الصومال وكينيا وتنزانيا) ، ويتكلم لغة واحدة هي السواحيلية ، ويدينون بدين واحد هو الإسلام الذي وحد بين هذه الشعوب المختلفة ، وكون منها خلال العصور الوسطى - ما يصح أن يسمى أمة واحدة ، لها آداب واحدة ، وثقافة واحدة ، ومصير واحد : يفسر ذلك جهاد المسلمين المتصل على طول الساحل الممتد من سوفالا جنوباً حتى مقديشو شمالاً ضد سيطرة البرتغاليين الذين حاولوا ضرب الحركة الإسلامية في هذه المنطقة والقضاء عليها ، يضاف إلى ذلك ما قام به المجاهد الإسلامي الكبير أحمد بن إبراهيم (الجران) من جهاد ضد الصليبيين وأعمالهم الوحشية في كل من الحبشة والصومال .[1]

لذلك أخلص إلى القول أن الهجرات العديدة العربية منها والإسلامية غير العربية التي وصلت إلى ذلك الساحل منذ فجر الإسلام ، أسهمت بدورها إسهاماً فعالاً ومؤثراً في نشر الإسلام ، ونقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى الداخل أيضاً ، فمن ممبسة ومالندي وبيت ولامو رحل العرب إلى الداخل ، ونشروا الإسلام بين قبائله التي تحمست لاعتناقه ، لأنه الدين الذي يحمل في طياته المساواة والعدالة الاجتماعية . فمن مدينة بيت أو باتا ، تمكنت قبيلة بني نبهان العربية التي وفدت من عمان إلى هذا الساحل ، تمكنت من التوغل في الداخل الكيني منذ القرن السابع الهجري ، وكان النبهانيون قد أسسوا إمارة عربية في منطقة بيت على الساحل الكيني في حوالي عام ٦٠١هـ (١٢٠٣م) ، ومن ثم أخذوا في توسيع دائرة نفوذهم حول السحل ، وفي الداخل . واستطاعت اسرة المظفر النبهانية أن تبسط سيطرتها على مقديشو حوالي عام ٧٤٠هـ (١٣٣١م) ، وفي أثناء حكم أبي بكر بن الشيخ عمر بن المظفر زار مقديشو الرحالة العربي ابن بطوطة في عام ٧٤٠هـ/١٣٣١م ، وذكر وصفاً ضافياً لأحوالها الاجتماعية[2] . وفي عهد هذا الشيخ بلغت مقديشو ذروة مجدها في القرن

---

[1] معالم الحضارة الإسلامية في ساحل افريقيا في العصور الوسطى، للباحث، مجلة دراسات افريقية، المركز الإسلامي الافريقي، العدد الثاني، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الخرطوم، ص ٨٣ - ٨٤.

[2] ابن بطوطة، أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله الطنجي (ت ٧٧٩هـ) (١٣٦٩م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٨٩ - ١٩٢، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

الرابع عشر الميلادي ، وعم فيها الرخاء ، وامتد نفوذها التجاري إلى الداخل ، حتى بلغ مناطق كينيا ويوغنده الحالية – كما ضم مركه وبراوة حتى وصل إلى سوفالا في أقصى جنوب الساحل[1] .

وإمارة بيت Pate هي إحدى جزر أرخبيل لامو ، وأهم جزر هذا الأرخبيل (في كينيا اليوم) . وقد عثر فيها على بقايا نقوش عربية ترجع إلى الفترة ما بين ٩٣٠ – ١٠٢٤هـ (١٥٢٣ –١٦١٥م) وربما يرجع أصلها إلى قبائل عربية من حضر موت، ويحتمل أن تكون الجزيرة قد اشتقت اسمها من قبيلة الباتويه العربية ، وكان أهلها في معارك مستمرة مع السكان الوثنيين المجاورين ، وقد اشتهرت هذه الجزر كمركز لتجارة الرقيق ، وقد توغل العرب المسلمون منها إلى الداخل ، وقاموا بدور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية[2] .

وتذكر الوثائق ومنها حولية بيت Pate Chronicle أن مدينة بيت عربية أسسها السوريون من قبل الخليفة عبد الملك عام ٧٧هـ (٦٩٦م) وخططوها على النهج العربي . ووصلها سليمان وسعيد إبني عباد والجلند من قبيلة الأزد من عمان ، ووضع فيها هذان الشيخان نظم الحكم والإدارة ، والأسس الكفيلة بنشر الأمن والاستقرار والرخاء . وشيد هؤلاء المباني والقلاع والاستحكامات ، ومارسوا الزراعة وصيد الأسماك والحيوان ، ثم تطورت حياتهم بعد ذلك ، بعد أن عملوا بالتجارة التي أدت إلى ازدياد ثرواتهم بسرعة فائقة، ولم تمض فترة طويلة حتى اندمجوا مع الوطنيين ، وتطورت قراهم في الساحل والداخل إلى مدن كبيرة زاهرة ، ولما كانت النساء العربيات قلة في شرقي أفريقيا ، فقد بدأ المهاجرون العرب في الزواج من نساء الوطنيين والجواري ، مما أدى إلى زيادة عدد السكان ، وهذه الهجرة الهامة تشير إلى

---

[1] ابراهيم علي طرخان، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة، ص ٤٢، القاهرة، ١٩٥٩م. حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص ٣٣، القاهرة، ١٩٦٣م.

[2] Reusch, Op. Cit., pp. 182 - 183. Stigand, Op. Cit., pp, 29 - 30.

معرفة العمانيين بسواحل أفريقيا الشرقية منذ زمن بعيد ، وكان نجاحها داعياً لأن يزداد عدد المهاجرين إلى شرقي أفريقيا ، لما يجدون فيها من ترحاب وحسن ضيافة، ومناصرة لدينهم الحنيف[1] .

ويمكن القول أن هذه الجماعات العربية ، ومن أهمها بني نبهان ، بذلت جهوداً مضنية في نشر الإسلام واللغة العربية بين القبائل الوثنية ، كما أخضعوا مدناً عديدة على الساحل وفي الداخل مثل كيرمبا وكواموانا ومالندي وكويام وكيزمايو وتيولا وكيونقا ، فأصبحت مراكز هامة لنقل الثقافة والحضارة الإسلامية[2] . وظلت إمارة بيت العربية ، منطقة هامة لنقل النفوذ العربي الإسلامي إلى الداخل ، وهي منطقة في غاية الاتساع والكبر ، ولها علاقات ثقافية وتجارية واسعة مع مكة المكرمة والبلاد الأخرى ، وأهلها شديدو التعصب للدين الإسلامي والتحمس له .

في أواخر عصر الدولة الأموية كانت هجرة الزيود عقب مقتل زعيمهم زيد بن علي بن الحسين عام ١٢٢هـ (٧٤٠م) ، فراراً من اضطهاد بني أمية لهم . واتبعت هذه الجماعة تعاليم زيد حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا سموا بالزيدية Ammu Zaid[3] . وهاجرت هذه الجماعة إلى ساحل بنادر بالقرب من مقديشو ،

---

[1] عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، ص ١١٩. حمدي السيد، الصومال، ص ٣٥٠، القاهرة، ١٩٥٠.

[2] توجد كل هذها المناطق في كينيا اليوم:

Stigand, Ibid, p. 89/ Reusch, Ibid, p. 185./ Theal, C.N., Records of South Eastern Africa, Vool. 111, London, 1899, pp. 210 - 216.

[3] بدأت حركة الزيود أو الزيدية منذ أيام هشام بن عبدالملك، وذلك لما شعر زيد بن علي بأحقيته بالخلافة من الشام، واجتمع حول زيد أهل المدينة والكوفة، وبايعوه وحرضوه على الخروج ومحاربة الأمويين، إلا أنه انهزم أمام جيش الأمويين سنة ١٢٢هـ (٧٤٠م) بقيادة يوسف بن عمر، وتفرق أصحابه عنه وخذلوه، فحارب حتى مات سنة ١٢٢هـ - وتنسب إليه جماعة الزيدية التي تفرعت عنها عدة فرق منها "الرافضة" وجماعة أخرى بايعت ابنه يحيآ وقاتلوا معه في خراسان سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م حتى قتل وانهزم أصحابه، الطبري الامام ابوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، الأمم والملوك، جدة، ص ٤٨٢ - ٤٩١. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٢٣م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر - ج٢، ص ١٨٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

وتوالت هجرات الزيود بعد ذلك . وكان الزيديون قد علموا بأمر العبادية (جماعة سليمان وسعيد) وأنهم كونوا أماكن للاستقرار في ساحل شرقي أفريقيا ، ومن المحتمل أنهم علموا بوجود سليمان وسعيد ، وتوطيد نفوذهما في تلك الجهات ، وهذا ما شجعهم على الاتجاه إلى ساحل شرقي أفريقيا ، حيث استقروا وكونوا لهم عدة قلاع في الساحل، ثم تبعتهم هجرات أخرى من الزيدية دعمت من مركزهم ووجودهم في الساحل . ويذكر أن من بين قادتهم حمزة بن مالك الذي امتاز بالشجاعة والعقل ، وتضاعفت أعدادهم بسرعة ، ولاسيما وقد هاجرت أعداد أخرى من الزيدية في اليمن إلى شرقي أفريقيا في الفترة ما بين ٧٥٧ - ٧٦٠م ، وانتشروا في ساحل بنادر ، ثم توغلوا منه إلى الداخل ، حيث نشروا الإسلام بين قبائل الجالا والبانتو . واتسع ملكهم شمالاً وجنوباً ، بالإضافة إلى بعض مناطق الداخل ، وقد تمتع هؤلاء الرجال بالذكاء الوقاد والطاقة الجبارة ، والحيوية المتدفقة ولا يقلون في ذلك عن قادتهم الذين سلكوا بهم ذلك الطريق الوعر ، وأسسوا لهم الإمارات ، وحاولوا بسط سيطرتهم ونشر مبادئهم ، وقد حكموا شرقي أفريقيا ما يقرب من المائتي سنة ، وأصلحوا الأراضي القاحلة وزرعوها ، واستفادوا من مياه نهري جوبا وشبيلي وأراضيهما الخصبة ، واستطاعوا بمساعدة الرقيق زراعة بعض النباتات التي أرفدتهم بثروات طائلة . ودرت عليهم أموالاً هائلة ، وقد احتفظوا بنقائهم فترة من الزمن لعاملين اثنين:

أولهما : أن الوافدين قد أحضروا معهم عدداً من النساء والفتيات العربيات، ومن ناحية أخرى أن الزيدية كانوا لا يريدون الاختلاط والزواج من أي عنصر آخر، ولذلك فقد انتشر مذهبهم في منطقة بنادر فقط .

ثانيهما : لأن الزيدية لم يختلطوا بالوطنيين إلا بعد فترة طويلة من الزمن، وذلك عندما توقف تدفق الوافدين. فاضطر الزيدية إلى الزواج من الوطنيات، واختلطوا لهذا السبب مع قبائل البانتو والجالا . وحتى يومنا هذا توجد قبيلة عربية في كينيا والصومال تفخر بنسبها إلى الزيدية ، وتدعي الانتماء إلى النازحين الأوائل . واحتفظوا كثيراً بتقاليد زيد وابنه يحي ، وعندما هاجر الأخوة السبعة إلى شرقي

أفريقيا، وهي الجماعة التي جاءت من بعد جماعة الزيدية اصطدموا بالزيدية وهزموهم وأحرقوا لهم منازلهم، فاضطر الزيدية إلى الانسحاب إلى الداخل حول أودية نهري جوبا وشبيلي ، وكانت فرصة طيبة للإندماج والانصهار مع السكان الأصليين، فتزوج العرب الزيدية منهم ، وتطبعوا بطباعهم ، ونشروا بينهم الدين الإسلامي واللغة العربية، حتى أن الكثير من قبائل الجالا ، اعتنقت الإسلام على أيديهم ، بدليل أن كثيراً منهم قد أصبحوا فقهاءً ووعاظا [1] .

أما الاخوة السبعة ، فقد حدثت هجرتهم في خلال العصر العباسي الثاني ، في بداية القرن الرابع الهجري (بداية القرن العاشر الميلادي) ، في حوالي عام ٣٠١هـ (٩١٣م) ، من الاحساء عاصمة دولة القرامطة الذين نشروا الرعب في جميع أنحاء الجزيرة العربية وسوريا والعراق . والاخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية ، نما إلى علمهم أخبار بلاد الزنج ، وربما سمعوا بأخبار جماعة سليمان وسعيد ، أو أنهم سمعوا تلك الأخبار من التجار ، لذلك قرر الأخوة السبعة أن يحذوا حذو سليمان وسعيد في الهجرة إلى شرق أفريقيا ، يراودهم الأمل العريض في تكوين وطن جديد ، وقد تحقق لهم ما أرادوا بفضل جهودهم ، فتمكنوا من الاستيلاء على منطقة بنادر وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسه ، وربما وصلوا إلى جزيرة قنبلو (مدغشقر) . ولم تمض فترة طويلة حتى أصبح بنادر كله شافعياً على المذهب السني ، وذلك بعد ان اصطدم الأخوة السبعة بالزيود الذين اضطروا للإنسحاب إلى الداخل، ولا يزال المذهب الشافعي هو السائد في بلاد شرقي أفريقيا[2] ، حيث وصلت جماعة أخرى ، هي جماعة آل شيراز الفرس ، الذين وصلوا في عام ٩٧٥م ، وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد شرقي أفريقيا

---

[1] حمدي السيد، المرجع السابق، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

Reusch, Op.cit., pp. 79 - 80 - 86. Trimingham, Islam In East Africa, p. 40.

[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص ٩٨. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ١٩٣. Reusch, Ibid, p. 90.

كلها في سهولة ويسر ، وجعلوا من مدينة كلوة (في تنزانيا) عاصمة لهم[1] وقد دخل الشيرازيون في حروب طاحنة مع جماعة الأخوة السبعة الذين رفضوا الخضوع لهم في بداية الأمر . واستمر ذلك الصراع العنيف بين المسلمين في أراضي شرقي أفريقيا ردحاً من الزمن ، وانتهى أخيراً باستسلام الأخوة السبعة ، بعد أن دمر الأمير علي بن حسن الشيرازي مدن الأخوة السبعة وقلاعهم ، وفرض عليهم الجزية السنوية ، وبدأ الأهالي الأصليين من الأفارقة يدخلون تدريجياً في الإسلام . وأوضحت المخطوطات العربية وأهمها حولية كلوة ، بأن سلطنة كلوة التي أصبحت تعرف كذلك باسم امبراطورية الزنج الإسلامية، امتدت من الساحل الممتد من لامو وساحل بنادر شمالاً ، حتى سوفالا (في روديسيا) جنوباً . كذلك أوضح ما كتبه البرتغاليون ، والنقود الإسلامية التي ضربت في عهد الحكام المسلمين في كلوة ، في القرن الثامن الهجري ، أن سلطنة إسلامية عاصمتها كلوة قد قامت منذ حوالي عام ٩٧٥/٩٧٦م ، وظلت قائمة حتى دخول البرتغاليين هذاالساحل عام ١٤٩٧ [2] . وقد نشر الشيرازيون الإسلام في مناطق لم يصلها المسلمون من قبل، وتوغلوا في الداخل كثيراً ونشروا الإسلام واللغة العربية بين سكانه . وقد أبقي الشيرازيون الفرس على كل النظم التي وضعها العرب في شرقي أفريقيا ، ومع أنهم شيعة ، إلا أن المذهب الشافعي ، ظل هو المذهب السائد في بلاد شرقي أفريقيا ، ما عدا جهات محدودة[3] . وبدأ الشيرازيون في تشييد المدن ، فأسسوا مدينة مالندي (في كينيا اليوم) ، بعد أن خربوا المدينة

---

[1] الشيخ محيي الدين، كتاب السلوى في أخبار كلوه.

Strong, S.A., The History of Kilwa, Journal of the Royal Asiatic Society, Vol., pp. 425 - 448. 1895. walker, Y., Encyc., of Islam, art Kilwa, Vol., 1111., p. 116.

[2] كتاب السلوى في أخبار كلوه.

Strong Ibid, p. 425 Seq.
Freeman & Grenville, The East African Goast, (Select Documents from the First to the Earlier nineteenth Century), pp 34 - 35, Clarendon Press, 1962,.

توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ترجمة)، ص ٢٧٨.

[3] الدمشقي، شمس الدين أبي عبدا لله محمد أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطربورغ، ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م، ص ١٦٢. حمدي السيد، المرجع السابق، ص ٣٤٦.

القديمة وأحرقوها، وهي بالقرب منها ، وكان ذلك في حوالي عام ٩٧٦م ، وهناك بعض الآثار والمقابر الفارسية والعربية ، وقطع الخزف التي عثر عليها ، وتشير إلى وجود الشيرازيين بمالندي في بداية تأسيسها ، وكذلك توجد في المدينة بعض الآثار الإسلامية التي ترمز شواهدها إلى قدم الإسلام في تلك الأجزاء .[١]

استأنف الأمير علي بن حسن سيره جنوباً من مالندي حتى وصل إلى ممبسه (ميناء كينيا اليوم) ، فجعلها قاعدة ومركزاً للإشراف على الإمارات التي استولى عليها قبل وصوله إلى ممبسة ، وجعل بذلك مالندي إمارة تابعة لممبسة ، وتكون حكومتها المركزية ومقرها في ممبسة ، وهذا يؤيد ما ذكره أبو الفداء عن مالندي حينما قال : (وسكنى ملكهم في مدينة ممبسة)[٢] – وقد ازدهرت مالندي ازدهاراً عظيماً في عهد السلطان سليمان حسن العظيم سلطان كلوه (١١٦٠ ـ ١١٧٩) [٣] . وقد تطورت مدينة ممبسه هي الأخرى تطوراً عظيماً، حتى أصبحت مدينة كبيرة وغنية ، بل أصبحت من أكبر مدن سلطنة كلوة الإسلامية ، وأكثرها منعة .[٤] وتحكم المسلمون على طول هذا الساحل ، حتى بلغوا جنوب أفريقيا ، وظلت لهم السيادة الكاملة على طول الساحل وداخله وجزره ، منذ القرن العاشر الميلادي، وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وتطورت المدن ، وبلغت شأواً عظيماً ، وشجع الحكام على العمران وبناء المساجد والمدارس والبيمارستانات ودور العبادة ، كما انتشر الأمن وعم الرخاء والعدل والإسلام . كما انتعشت التجارة ، وقام السلاطين بتأمين

---

(١)

Kirikman, J.S., Men and Movementson the East Africa Coast, pp. 86 - 89

(٢) أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ ـ ١٣٣٢م): تقويم البلدان، ص ١٥٢، باريس، ١٨٤٠م.

(٣)

Reusch, Op. Cit., p. 168 Seq.

(٤) ياقوت الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله (ت ١٢٢٩م)، معجم البلدان ج٨، ص ١٨٣، بيروت، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

الطرق إلى الداخل، وحماية السفن في المحيط الهندي لتأمين التجارة مع الشرق[1] . وجرد السلاطين الحملات الحربية إلي الداخل لنشر الإسلام بين قبائل البحيرات العظمى في كينيا وأفريقيا الوسطى ويوغنده . كما وصلت جيوش عديدة إلى أراضي رواندا وأورندي ونياسالاند وروديسيا وجنوب الحبشة وشرق الكونغو ، وفتحت أبواب التجارة في تلك الجهات حتى بلغت نياسا وتنجانيقا وفكتوريا[2] .

لقد بذل سلاطين دولة الزنج الإسلامية في كلوة ، جهوداً جبارة في سبيل نشر الإسلام ، واللغة العربية في الداخل ، وقد تمكنوا من التوغل من الساحل ، حتى بلغوا أواسط أفريقيا ، حيث أقاموا علاقات تجارية ، مع القبائل الأفريقية في الداخل ، وقد توغل العرب في تلك الجهات بتجارتهم ، حتى وصلوا إلى منطقة كلمنجارو (في كينيا) ، كما كانت تجاور الإمارات العربية والإسلامية ، مملكة كبيرة عرفت باسم " مملكة البانتو العظيمة " ، وهي مملكة في الداخل (تضم أراضيها اليوم كينيا وتنزانيا) ، ويطلقون عليها أيضا اسم "مملكة مونبومجي أو نيميا ماجي " ، وهي مملكة في الداخل ، ولها علاقات تجارية واسعة مع ممبسة ومالندي وكلوه . ومملكة البانتو تحدها في الشرق إمارات ممبسه وكلوه ومالندي ، وفي الشمال الحبشة ، ودولة ماكوكا العظمى ،وفي الجنوب تمتد حتى موزمبيق ومملكة مونوموتابا ، وفي الغرب تصل إلى بحيرتين كبيرتين ونهر النيل . وكانت هذه المملكة تسمى باسم دولة واني مويزي القديمة ، وتأسست بواسطة حاكم قوي ، استطاع أن يوحد كل أجزائها إلى مملكة واحدة ، وأخضع بعض القبائل المجاورة . وقد أقامت هذه الدولة العريقة ، علاقات تجارية وثقافية مع العرب والمسلمين في الساحل ، وهذا يفسر قدم الإسلام والثقافة الإسلامية في الداخل الأفريقي .[3] وكان لازدهار حركة التبادل التجاري مع الداخل ، من العوامل التي

---

(١) Coupland, Op., Cit., p.20., March, An Introduction to History of East Africa, p. 8, London, 1966.

(٢) Reusch, Ibid, p. 144.

(٣) Freeman, Op., Cit., p. 39. Reusch, Ibid, PP. 157 - 222.

ساعدت على نشر الإسلام في كينيا ، كما كانت من العوامل التي عملت على ازدهار الحركة العلمية فيها . واشتهرت مدن ممبسة ومالندي وكلوة ، بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في تلك البقعة ، وقد عني حكام الساحل بجانب الاهتمام الكبير بالحركة الفكرية والثقافية ، عنوا عناية كبيرة بنشر الإسلام بين القبائل الأفريقية ، التي لم يصلها الإسلام ، وخاصة قبائل الداخل الوثنية ، مثلما عنوا عناية تامة ، بشتى نواحي الحياة الأخرى : الاقتصادية والاجتماعية والبدنية ، فأصبحت تلك البلاد إسلامية خالصة ، بفضل هذه الجهود . وبدأت حملات ثقافية تأخذ مكانها بين شبه الجزيرة العربية ، وشرقي أفريقية ، واتسمت بالطابع الديني ، وأرسلت البعثات إلى الدول العربية الإسلامية ، وعاد أبناء شرقي أفريقيا لتعليم الإسلام وقواعده إلى شعوبهم ، وبرزت مدن إسلامية في مثل لامو ومالندي وممبسة وتانجا ، فأصبحت مراكز إشعاع للدعوة الإسلامية ، وكان من الطبيعي أن ينتقل الإسلام إلى الداخل ، فتدخل إلى كينيا – كما سبق القول – ووصل إلى تنجانيقا وموزمبيق ويوغنده ، ووصل إلى زائير ، وازدهرت التجارة بين الساحل والداخل ، وظهرت مراكز تجارية مثل كيتوتو وساباي ومياس في داخل كينيا ، واتخذ العرب والسواحيليون منها مراكز استقرار في الداخل ، ووصل الإسلام إلى كينيا عن طريق محور آخر ، حيث كانت القبائل الصومالية دعامته ، فانتقل الإسلام عن طريقهم إلى شمال كينيا ، وحيث انتشر بين القبائل التي تعيش في شمالي كينيا ، وامتد نفوذ دولة آل بوسعيد من زنجبار إلى داخل شرقي أفريقيا خلف انتشار الإسلام ، وعندما فرض الاستعمار الألماني والبريطاني سيطرتهما على هذه المنطقة عرقلا سريان الدعوة الإسلامية ، وشجع البعثات التنصيرية ، وكان طبيعياً أن يقاوم المسلمون نفوذ الاستعمار والتنصير، فشبت الثورات في كينيا ، كان منها ثورة ويتو (Witu) في سنة ١٨٩٠م ، وثورة المازوري (Mazri) في سنة ١٨٩٥م ، وانتشرت الثورات في ساحل كينيا[١] .

والملاحظ أن قبائل البانتو والجالا التي اعتنقت الإسلام منذ وقت مبكر كما

---

[١] سيد عبدالمجيد بكر، نقص المرجع، ص ٩٣.

سبق القول ، قامت هي الأخرى بدور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية ، خاصة قبائل الماساي ، كما قامت بدور نضالي كبير ضد المستعمرين الأوربيين ، وقاوموا حركات التنصير • وغالبية هذه القبائل المسلمة على المذهب الشافعي ، وينتشرون في القطاع الساحلي من مدن باتا (بيت) ولامو ومالندي ومجلس نيروبي وما حولها • كما ينتشرون في القطاع الكيني المجاور لحدود الصومال وأوجادين • ومن المسلمين بكينيا جالية هندية باكستانية ، وجالية عربية ، وجالية فارسية ، وما زال الإسلام ينتشر بين الجماعات الأفريقية مثل البانتو وبين النيليين الحاميين ، وبين العناصر الصومالية في شمال شرقي كينيا •[1]

ويمكن تقسيم الجماعات الإسلامية في كينيا من ناحية التوزيع الجغرافي إلى ثلاثة أقسام : –

القسم الأول : القسم الساحلي ، وهو يشمل ممبسه ولامو ومالندي وقانجا وتاكونجي وكليفي وغيرها ، ومعظم أفراد الجالية العربية جاءوا من مسقط وعمان وحضر موت واليمن ومصر •

القسم الثاني : وسط كينيا ، ويشمل نيروبي وجزءاً من نيري ونيوكي •

القسم الثالث : في نيانزا ، بقرب كينيا ، حيث توجد نسبة صغيرة من المسلمين، حيث يعيش بعض السواحيليين والصوماليين في المدن الصغيرة والمراكز التجارية وسكان بلدة مومبا في شمال نيانزا على الطريق الرئيسي من أوجندا إلى الساحل ، غالبيتهم مسلمون (سواحيلي وصوماليون ونوبيون) •ويمكن القول بأنها أهم مركز إسلامي في المنطقة ، والإسلام قوي جداً بين أهالي وانجا تبعا للنفوذ السواحيلي الذي تأثروا به منذ زمن • وقد أسلم بعضهم في أثناء خدمتهم بالقوات المسلحة ، أو أثناء عملهم كحمالين • وهناك بعض الأسرات بين قبائل الحاميين • وهناك حزب اتحاد

---

[1] المصدر نفسه، ص ٩٣، ٩٤.

مسلمي كينيا ويرأسه الشيخ عليّ سعيدا ، وأمينه الشيخ علي كوشيد ، وللحزب فروع في ممبسه ونيروبي وكومو ، وينهض هذا الحزب بإيفاد البعثات التعليمية وبناء المدارس • وهناك بعثات كثيرة من الطلاب الكينيين المسلمين في مصر ، ويشرف عليهم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة ، قبل فترة من الزمن• ويقوم أفراد هذا الاتحاد بنشر الثقافة العربية الإسلامية ، كما يعنى بنشر دعوة الإسلام • وفي كينيا عدد كبير من المساجد ، أكثرها في ممبسا[1] •

ولعل من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين في كينيا ، أنها أصبحت معقلاً للنشاط التنصيري ، ولقد وجدت الجماعات التنصيرية بيئة مناسبة لنشاطها ، حيث يواجه المسلمون العديد من المشكلات مثل الأمية والفقر والمجاعة والبطالة • في مقابل ذلك تقدم بعثات التنصير الأدوية والأغذية والمصحات المتنقلة ، وينشط ذلك في مناطق المسلمين ، وهذا الوضع يجعل المؤسسات الإسلامية لا تقوى على مواجهة حركة التنصير • ولولا تمكن العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين في كينيا لتحقق لتلك الجماعات المشبوهة ما تريد وهو عدم الإسلام • وفيما مضى كان القضاء على الإسلام هدفاً استعمارياً ، وليس أدل على ذلك من تدمير مدن بكاملها وإحراق بعض المدن التاريخية مثل ممبسه أكثر من مرة • والآن يتخفى الاستعمار تحت أكثر من ستار، فتارة يأتي في شكل البعثات التنصيرية ، وأخرى عبر مناهج التعليم الغربية[2] •

وفي ظل تلك التحديات ، تكونت في كينيا نحو ٥٠ جمعية إسلامية يشرف عليها المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ، إلا أن هذه الجمعيات والهيئات في حاجة إلى توحيد جهودها ، لأن المسلمين في كينيا يعانون الأزمات في المجال الثقافي والاقتصادي ، ويعانون أيضاً من ضعف التعليم الإسلامي ، وكل ذلك يتطلب تضافر الجهود لمواجهة منافسة البعثات التنصيرية ، لأن نصف سكان كينيا مازالوا على الوثنية ، والبعثات

---

[1] عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، ص ٩٤ - ٩٥.

[2] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٢٧ - ١٢٨.

التنصيرية زادت من قدراتها في ظل الدعم الاستعماري ، وأخذت تعمل بإمكانات مادية أتاحت لها فرص الحركة والانتشار ، فشيدت المدارس والكنائس والمستشفيات ، كل ذلك لتجذب المواطنين إلى المسيحية ، وطورت التعليم المهني والتعليم العام ، وتدفقت المعونات من الخارج، وتأتيها من المجلس العالمي للكنائس[1] ... والحاجة ماسة وملحة بأن تسارع المؤسسات والمنظمات الإسلامية لمد يد الدعم والعون للمسلمين ومؤسساتهم المختلفة ، حتى يمكن مواجهة هذا التيار الجارف .

[1] سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧.